ونختم بحثنا هذا باعتبار واحد جليل القدر يُغني عن كلّ حجّة. وهو انّ المصنّفين والكتّاب في اللغة السريانية في سوريّة من القرن السادس فصاعدًا هم كثيرو العدد حتى انّهُ يعسر احصاؤهم. وهاك اسماء طرفٍ يسير منهم. بولا اسقف قَلِينقس (الرقّة). وشمعون القوقيّ. ويوحنّا ابن افتون القنسريني. وزكريّا الملطيّ. ويوحنّا اسقف افسس. وتوما الحرقليّ. وتاوفيل الرهاوي. ويوحنّا اسقف بُصرى في حوران وغيرهم كثيرون. هؤلاء من الذين اشتهروا الى حين ظهور الاسلام فقط. وأمّا الذين ألّفوا في اليونانية في تلك الاعصار ببلاد سوريّة فاذا عدلنا عن الذين اشتهروا في اورشليم التي كانت اضحتْ مدينةً يونانية منذ مبادئ القرن الثاني بعد المسيح وفي دير جبل سينا الذي كان ديرًا يونانيًا في كلّ زمان. كسفرونيوس ويوحنّا السلّميّ ويوحنّا الدمشقي وثاودورس ابي قرّة وأنسطاسيوس السيناويّ ويوحنّا مُنخوس فلا نعلم انّهُ عُرف غير هؤلاء من المصنّفين باليونانية في بلاد سوريّة الى يومنا هذا. وان كنّا قد نسينا واحدًا او اثنين فالعفو من القارئ الكريم. ولذلك فلا غرو انّك تجد في بلاد سوريّة احمالًا كثيرة من الكتب السريانية في البيع والاديرة وخزائن البيوت. ولا تجد فيها من الكتب اليونانيّة الّا تحلّة القسَم

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

فصل في ذكر اولاد زين الدين وهم من الطبقة الاولى

ويجب ان نذكر اولاد زين الدين من بعد ذكر ابيهم (١

ذكر الامير شرف الدين علي ابن زين الدين صالح بن عليّ بن بحتر

هو سميُّ جدّهِ كان مشهورًا بالجودة وصدق الكلام محمودًا في امورهِ مشكورًا

(١ ورد في ذيل الكتاب ما حرفهُ: « حاشية من الاصل: لما اسّس زين الدين العمارة في راس عرامون جعلها ابا حبّة (نظنّ انهُ يريد حجر الصوّان الحبّب) وَبدنات على هيئة القلاع. وذكروا

في سيرتهِ عرضوا عليهِ إمارة اخيهِ ناهض الدين بحتر الآتي ذكرهُ ان شاء الله فأبى اخذها وأيّد عزمهُ بالحلف. ثم بادر الى تبرئة ذمّة اخيهِ من الديون التي عليهِ وقيل انها كانت سبعين الف درهم فتكون بمعاملة زمانهِ الفين وخمسمائة دينار. ورأيتُ باسم شرف الدين عليّ مصافات فضّة وخناجر فضة وآلات حوائص(١ ونحاس وغيرهُ شيئاً كثيرًا يدلُّ ذلك على سيادتهِ وحسن حالهِ بين الناس. ورأيتُ كتابتهُ وذكرهُ في الورق القديم يدلُّ على انهُ كثير المخالطة للدولة (٣٤٥). وشرف الدين عليّ كان اكبر اخوتهِ في السن وتأخر بعدهم ولم يبلغ عمرُ احدٍ منهم خمسين سنةً. وفاتهُ نهار الاثنين رابع عشر صفر سنة سبع وسبعمائة (١٣٠٧ م) واسم ولده عزُّ الدين حسين

ذكر اخيهِ الامير ناهض الدين بحتر ابن زين الدين صالح بن عليّ بن بُحتُر

كان ناهض الدين جوادًا كريمًا حسن الشكل وافر الحشمة معروفًا بين الناس بالكبرة (٢. وتأمّر على الطبلخانات خارجًا عن الاقطاع القديم المخصوص بالبيت. وذلك انَّ الهاربين من عساكر الملك الناصر محمد بن قلاوون في تاريخ سنة تسع وتسعين وستمائة (١٣٠٠م) تفرّقوا في البلاد فحصل لهم اذيّة من المفسدين وخصوصاً من اهل كسروان وجزين. واكثرهم اذيّة للهاربين اهل كسروان فانهم بلغوا الى ان امسكوا بعض الهاربين وباعوهم للفرنج. واما السّلب والقتل فكان كثيرًا. وكان ناهض الدين بُحتر اذا مرّ عليهِ احد من الهاربين احسن اليهِ واضافهُ وقام لهُ بما يحتاج اليهِ. وكذلك فعل علاء الدين عليّ ابن حسن بن صبح(٣ في قرية حديثة فشكرهما الناس وصار لهما ذكر ولبس كلاهما الخلع في

أنهُ ورد عليهِ امر من السلطنة لبطلها وانكروا عليهِ فعلهُ. فعمّر فوق الاقنية حيطان عليّتين للسكن. واحتجّ عند السلطان أنهُ يعمّر بيوتًا للسكن. فتوفي قبل ان يسقّف الحيطان. ثمّ طلع ولدهُ بدر الدين يوسف وسقّف الحيطان كما هي اليوم ولم اقف على ذكر تاريخ مولد زين الدين عليّ ولكن المشهور عنهُ أنهُ ولد يتيمًا عند جمال الدين بن حجّي واخيهِ سعد الدين خضر ولدَي محمّد بن محمّد بن حجّي فعلى هذا يكون المذكور اصغر سنًّا منهما اذ انهما ربّياهُ. وهذا دليل لامع على انَّ زين الدين بن عليّ يتقصّر (كذا) عن ايام ابيهِ واخوتهِ » ١) الحوائص المناطق

٢) جاء في الحاشية: « وجدتُ مرسومًا من ايبك نائب الشام عن السلطان الملك العادل كتبغا الى متولي بيروت يوصيه بناهض الدين بحتر المذكور ووالدهِ. وهذا المرسوم مما يدل على انَّ ناهض الدين بحتر المذكور نشأ في ايام والدهِ وانهُ كان معيّنًا للامرة دون اخوتهِ شرف الدين عليّ وبدر الدين يوسف. وتاريخ المرسوم المذكور سنة اربع وتسعين وستمائة (١٢٩٥م) »

٣) مرّ ذكرهُ (ص ٢٧٦)

نهار واحد وتولّى كلٌّ منهما إمرة طبلخاناة (١ وذلك بواسطة ملك الامراء جمال الدين آقوش الافرم نائب الشام قاصداً بذلك محاربة المفسدين (٢ ثمّ عاملوا اهل كسروان بما ذكرناه (٢

وقد وقفتُ على المنشور الذي يأمر لناهض الدين بحتر بالطبلخاناة وجهاتهُ كثيرة متفرقة جمعوها حتى صارت امرتهُ طبلخاناة. ولولا خوف الاطالة لذكرتُها

ووجدت بخطّ ناصر الدين الحسين انهُ أُعطي الامر لناهض الدين بحتر بالطبلخاناة نهار السبت من شهر صفر سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) وكان لهُ بدمشق يوم مشهود فخلع على الحجّاب والنقباء ومن حضر اليهِ بالامرة خمس عشرة خلعة كاملة

وكانت وفاتهُ نهار الجمعة قبل المغرب بساعة في الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة سبعمائة (١ ١٣٠) بدمشق بدار الطيّار داخل باب الفراديس وحُمل الى عرامون ودفن عند والدهِ بتربتهم. وكان مرضهُ الزنطارية وبقي مرضهُ اثني عشر يوماً. وخلّف ديناً ينيف على سبعين الف درهم فاجتهد اخوهُ علي حتى وفى جميع ما كان عليهِ. واسمُ ولده شمس الدين كرامة لم يخلف بعدهُ سواهُ (٣

ذكر اخيهِ الامير بدر الدين يوسف ابن زين الدين صالح بن عليّ بن بحتر

لم اعرف شيئاً من اخبارهِ. تزوّج زين الدار بنت سعد الدين خضر بن محمد بن

---

١) الطبلخاناة من الرُتب العليا في ايّام ملوك الشراكسة في مصر (راجع ص ٣٢٥) قال المقريزي في كتاب السلوك: وكان اقطاع امير الطبلخاناة يبلغ ثلاثين الف دينار

٢) (راجع ص ٢٧٦). جاء في هامش الكتاب: « حاشية تذكر في الاصل: وجدتُ مرسوماً من حاعان (كذا) الى ناهض الدين بحتر المذكور. من مضمونهِ ان ناصر الدين بن سعدان من التربية تقرّب الى عزّ الدين الوزيريّ والتمس من الرعايا مالاً وطلب للكشف عليهِ. فقيل لهُ طلع الى الجبل فطلبهُ من المجلس ومن اقاربه الامراء فلم يحضروهُ. فقسم بالله ان لم يحضر لياخذ من المجلس ما يتحرّر عندهُ في الكشف. وتاريخ المرسوم المذكور سنة ست وتسعين وستمائة (١٢٩٧م) في ايّام سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين وفي نيابة قبجق على الشام. اما حاعان صاحب المرسوم فربما كان من حكّام الشام الكبار. واما عزّ الدين الوزيري فربما كان متولياً بيروت وهذا يدل نجس (كذا) ناصر الدين بن سعدان وجودة ناهض الدين واقاربهِ »

٣) جاء في ذيل الكتاب: « حاشية من الاصل: كنتُ وانا صغير اسمع الناس يقولون انّ من نساء الامراء بعرامون امرأة ركبت فرساً فجفل وجرى بها فوقعت وتعلّقت رجلُها في الركاب فماتت. وشتّ عنّي مَن هي أتكون زين الدار المذكورة او احدى بنات ناصر الدين الحُسين بن سعد الدين خضر المزوّجات في عرامون وسيأتي ذكرهنّ فيما بعد هذا ان شاء الله. ثمّ ذُكر لي بعد ذلك انّ التي قتلها الفرس هي امّ ناهض الدين اخت ناصر الدين الحسين والله اعلم

حجي . وتوفي نهار الجمعة سابع صفر سنة احدى وسبعمائة (١٣٠١) . اسماء ولدَيهِ عماد الدين موسى وسيف الدين مفرح ووفاة امهما زين الدار المذكورة في ثاني وعشرين شعبان سنة تسع وثلاثين وسبعمائة (١٣٤٠م)

[وقد سمعتُ (١ من غير واحد انَّ بدر الدين يوسف ابن زين الدين المذكور خرج من بيروت فوجد احد اصحابهِ يُعرف بالقاضي التبريزي قد حضر الى عرامون ونزل بالقاعة تحت العين في البستان فنزل بدر الدين عند القاضي المذكور في القاعة وكان عنده ناصر الدين ابو الفتح ابن سعدان ابن ابي الجيش مع جماعة وهم قاعدون في مجلس الشراب فاخذ ناصر الدين ابو الفتح يسقي الجماعة بيدهِ فلمَّا كان الدور لبدر الدين يوسف وضع في القدح سمًّا فعاش بدر الدين اياماً قلائل متوجعاً من ألم السمّ وتداوى فلم ينجع فيهِ الدواء ثمَّ توفي في التاريخ المذكور . وكان بدر الدين يوسف من سادات قومهِ جليل القدر عالي الشان وكان ناصر الدين الحسين ابن سعد الدين خضر كثير المحبة لهُ وكثيرًا ما كان ينزل ينام عندهُ بعرامون في ألفة اختهِ زين الدار زوجة بدر الدين . ويقال انهُ هو الذي عمَّر لها القبو الذي تحت الطبقة وقيل انّ عماد الدين ابن بدر الدين يوسف المذكور عمَّرهُ لزوج بنتهِ وسنذكر عمارة القبو عند ذكرنا لعماد الدين موسى . وكان بدر الدين لمَّا قسم من اخيهِ شرف الدين طلع الى الرأس وسقَّف البيوت في الرأس ثمَّ سكنها اربعين يوماً وتوفي . ثم عمَّر ولدهُ مفرح الطبقة التي فوق القبو الذي عمرهُ ناصر الدين الحسين لاختهِ زين الدار]

ذكر الامير شمس الدين كرامة بن بحتر بن صالح تبعاً لذكر ابيهِ وجدّهِ

كان شابًّا حدث السنّ لم يتزوَّج ولم يخلف ابوهُ ولدًا سواهُ . وكان عمهُ شرف الدين عليّ هو المتكلم عنهُ بوصاة ابيهِ بحتر المذكور . ورأيتُ بين الاوراق القديمة مراسيم من اقوش الافرم نائب الشام وقصصًا كتبها شرف الدين عليّ تدلُّ على انَّهُ كان المتكلم عن شمس الدين كرامة ابن اخيهِ . وجهات اقطاعهِ عرامون وبيصور وكفتون وثلث صناب وثلث عين عنوب وثلث بتاثر وثلث كفرعمّيه وثلث حصّة الملك بخلدا

---

١) ما ذكرناهُ بين معكفَّين قد ورد في الحاشية وقد نبَّه المؤلف انهُ من الاصل فالحقناه بالمتن

وحبرشالا (١ ومرتعون وبركة شطرا (٢ ومن الفريديس فدّان(٣ وكان هذا الاقطاع بامرةٍ عشرة في ذلك الوقت وانّما جُعلت عشرين في ايّام الدَرَك . وربّما كانت قبل الفتوح مجهولة العدّة كما كان غيرها من الاملاك والاقطاع . وشمس الدين كرامة لم يعمّر ولم تطل لهُ مدّة . وكانت وفاتهُ نهار السبت سادس شهر محرّم سنة سبع وسبعمائة (١٣٠٧م) . وانتقل اقطاعهُ بحكم الوفاة الى ناصر الدين ابن الحسين بن الخضر الآتي ذكرهُ ان شاء الله تعالى بعد شمس الدين هذا . واماً بقيّة الامراء بعرامون سيأتي ان شاء الله ذكرهم بعد ذكر ناصر الدين الحسين وذكر اخوتهِ والذين تأخّروا من ذرّيتهم يتأخر ذكرهم الى موضعهِ كما سنرتّبهُ ان شاء الله تعالى

(٣٩٧) الطبقة الثانية

ولنرجع الآن الى ذكر اولاد سعد الدين خضر ابن نجم الدين محمد ثم نذكر من بعدهم من يتعيّن ذكرهُ من معاصريهم على ما ينبغي ترتيبهُ ان شاء الله تعالى

ذكر الامير ناصر الدين الحسين ابن سعد الدين خضر ابن نجم الدين محمّد امير العرب

كان سيّدًا من السادات المعدودين نال الرُتبة العالية في قومهِ وشيّد البيت وولي رئاستهُ وسياستهُ . وكانت ايّامهُ غرر الايّام وزمانهُ زائد الابتسام عاش في ايّام الملك الناصر محمد بن قلاوون ونائبهِ بالشام تنكز(٤ . وكان الزمان ساكناً باهلهِ راقدًا عن الحوادث . وكانت سيرتهُ احسن سيرة من اسداء المعروف واغاثة الملهوف شكرهُ الناس ولحظوهُ بعين الوقار . وكانت كتابتهُ مليحة مع بلاغة وفصاحة . وكان يُحبّ سماع الشعر وحفظهُ . قيل انّهُ كان يحفظ اغلب ديوان شعر المتنبّي . وكان يسأل اصحابَهُ عن نُسَخ ديوانهِ القديمة

١) كذا في الاصل . وقد وردت على صورة أُخرى « حير شالا » ولم نجد لكلتيهما ذكرًا

٢) لا نعلم موقعها

٣) قال المؤلّف في الحاشية : « وهذا الاقطاع كان اوّلًا من جملة اقطاع جمال الدين حجّي ابن محمّد بن حجّي كما ذكرنا

٤) راجع ص ٣٢٦

فيحضرونها لهُ. وقد وُجد بين كتبهِ اربع نُسخ من ديوان هذا الشاعر وهي من اقدم النسخ واعتقها. ونظم الشعر الرقيق ورغب في جمع الكتب وحصَّل منها شيئاً كثيرًا اغلبها دواوين شعر وتواريخ. وكان قد اشتهر اسمهُ فقصدهُ الناس ومدحهُ الشعراء. منهم الشريف ابرهيم بن اسمعيل الحسينيّ خمَّس لهُ مقصورة ابي بكر بن دريد وجعل التخميس مديحاً في المذكور وفي والدهِ سعد الدين. وللشريف ابرهيم ديوان شعر في مدائحهما وصنَّف (40ب) ايضاً الشريف المذكور لناصر الدين كتاباً من أنزهِ الكتب واحسنها فُرجةً اتى فيهِ بنوادر ومُلح ولطائف وكلّ معنًى نفيس سمَّاهُ رياض الجِنان ورياضة الجَنان

ومنهم شهاب الدين احمد بن الصلاح البعلبكيّ الطبيب المشهور صنَّف لهُ مختصرًا في حفظ الصحَّة وسمَّاهُ تعديل الاسباب الضروريَّة. [ومنهم (١ الشيخ بهاء الدين محمود خطيب بعلبكّ وشيخ البلاد الشامية في الخطّ المنسوب دَرْجاً يحتوي على الاقلام السبعة كتبهُ على ورق حرير وجعلهُ هديَّةً اليهِ]

ومنهم محمد بن علي بن محمد العزّي شاعر السَّلَف. كان لهُ كتابةٌ منسوبة وشعر فائق قد عُدَّ انهُ من طبقة صفيّ الدين الحلّي. صنَّف العزّي المذكور مقامةً مشتركة يوصف ناصر الدين الحسين واقاربهِ جميعاً جعلها باسم ناصر الدين وذكر نسبتهم اصلاً وفرعاً وجعلها على قواعد النحو واجاد فيها غاية الاجادة. ولهُ في السلف مدائح كثيرة جدًّا سنذكر ان شاء الله تعالى في آخر هذه الترجمة بعض المدائح التي قالها في ناصر الدين وعند ذكر كلّ واحد من اقاربهِ نذكر ما وصفهُ بهِ العزّي في المقامة المذكورة. فمن وصف ناصر الدين ومديحهِ قولهُ:

قومٌ جحاجحةٌ كرامٌ سادةٌ ... سادوا بنسبتهم الى ابن المُنذرِ
فهمُ الكواكب وابنُ خضرٍ بدرُهم ... بل شمس أفقهم المنيرِ المُقمرِ

ومن منثورها: «هل في الشام من يشيم غير بروق سحائبهِ. او يروقهُ غير جمال كتبهِ وجميل كتائبهِ. فالجدُّ والجِدّة وَقْفٌ على سيفهِ وقلمهِ. والعفاف والتقوى من طباعهِ وشيمهِ. غالباً بآرائهِ الغنيَّة عن الرايات. بالغاً بآلائهِ (40ب) غايات النهاية ونهاية الغايات. مع كتابةٍ كالروض باكرهُ من كفّهِ وسميُّ الغَمام. وبلاغة تفعل بالعقول ما لا يفعلهُ المُدام». ومنها مدح نؤخر ذكرهُ مع المديح في آخر هذه الترجمة وبالله التوفيق (ستأتي البقية)

١) ما اوردناه بين معكفين جاء في هامش الكتاب